داء الشرق الأسلامى ودواؤه

— ٢ —

المؤتمر الاسلامى

للسيد عبد العزيز الثعالبى

يجمل بنا أن ندخل مباشرة بدون تعريج على المقدمات فى موضوع علاج الأمراض المعضلة التى ذكرناها — فى الجزء الثالث من هذه المجلة — لأن أطباء الاجتماع الاسلامى ، قد قتلوا هذا الموضوع بحثا وتحقيقا .

أجل ، تعرض أطباء الفكرة الأسلامية لذكر أنواع من العلاجات الناجعة ، لكنهم أعرضوا تماماً عن بيان الطرائق الموصلة للعلاج ، وتمريض الهيئة الاجتماعية الأسلامية ، ولم يرشدونا عن كيفية وقايتها من النكسة .

وليس يكفى لمعالجة أدواء المسلمين مجرد تشخيص الداء، ولا العلم بأن طريقة المداواة هى العلم والنظام وإيجاد المرافق التى تكفل حيوية الأمة واقتباس الطرائق العملية التى جرت عليها الأمم المتمدنه وغير ذلك من البديهيات ، ولكن يجب أن نجد الطرائق الموصلة إلى إحكام طريقة العلاج وجعلها ناجحة مفيدة ، يتقبلها المسلمون كقضية مسلمة لاجدال فيها .

*
* *

لاينقص المسلمين العلم بحياة الأمم،ولا الأحاطة بأسباب ترقيها ،خصوصا بعد أن دونت قواعد علم الاجتماع وعلم النفس ، وعرفت خصائص الأمم . وإنما ينقصهم أن يعرفوا قابلية الأمم واستعدادها لقبول مايتناسب مع حالاتها وأوضاعها ، فليس من الحكمة أن نترسم فى معالجة أدواء الأمم الأسلامية اليوم ، الخطط التى جرت عليها أوروبا فى نهضتها ، لأن ظروفنا غير ظروفها، ومحيطنا غير محيطها ، والموانع التى تعوقنا غير الموانع التى تعترض تقدمها ، فقد كانت النهضة الاوروبية التى بدأت فى القرن الخامس عشر تسير فى منهجها وليس عليها رقيب من الأمم التى كانت تنافسها ، ولم تطوق بشرائع ظالمة يمليها عليها أعداؤها وخصومها كما هو حاصل اليوم فى البلاد الأسلامية قاطبة ، وفوق هذا وذاك كانت سليمة من كل تدخل أجنبى ، ومن الدعايات الأجنبية المضللة التى هى أنكى سلاح فى يد أعداء

الشرق ، استعمل لنحر الاسلام فى مرابضه ومآمنه ، وكل ما كانت تلقاه شعب داخلى يظهر أحياناً ويفور أحياناً بين طلاب النهضة وأنصار التقليد ، وكلاهما لا يشغله شاغل عن خدمة أمته وإعلاء شأن بلاده . أما نحن معاشر المسلمين فقد تغلغلت فينا السلطات والدعايات الاجنبية حتى أفسدت علينا عقولنا وضمائرنا ، وفرقت بين الأخ وأخيه، والأب وبنيه .

وهذا هو السر فى إخفاق كل نهضة ظهرت فى البلاد الأسلامية من نحو قرن ، بحيث إن كل محاولة قام بها المسلمون سواء كانت بواسطة دولهم أوأفرادهم ، كانت نتيجتها الأخفاق إن لم نقل إنها استحالت الى بلاء وبيل عليهم ، اذن فلابد من تغيير الطريقة ، واصلاح المنهاج ودرس أسباب هذا الأخفاق، وهذا لا يكون من عمل الأفراد، ولا يكون بجهود موضعية يستبد بها فريق دون فريق ، بل لابد لذلك من عقد اجتماع يتألف من عباقرة المسلمين ، وفطاحلهم وزعمائهم، وهم كثيرون اليوم والحمد لله تعج بهم الأقطار والأمصار. ومن هؤلاء ينعقد مؤتمر يضع مناهج لتربية المسلمين وتعليمهم، ويؤلفون اللجان الدائمة لتنشيط علمائهم واستثمار جهودهم ، وتسوقهم لايجاد مقومات اجتماعهم، ورسم الخطط الكافلة لتقدمهم، ودرء الأخطار الأجنبية عنهم ، بشرط أن يكون هذا المؤتمر — الذى يشرف على أعمال هذه اللجان — دوريا ينعقد بعد كل بضع سنوات مرة، ويضع الأساليب الفعالة لتنفيذ تلك القرارات بحيث تكون مقرراته داخلة ضمن مسائل الأجماع التى يأثم كل مسلم اذا خرج عنها .

أين يعقد المؤتمر ؟

أما مكان انعقاد هذا المؤتمر ، فلست أرى اختيار أى قطر اسلامى له، والمسلمون كما نعلم ليس لهم من أمرهم شيء ، حتى فى البلاد التى تتمتع بسلطة الوازع الذاتى منها ، لأنها غير معصومة من وقع النفوذ الاجنبى فيها ، ان لم نقل إنها خاضعة فى الباطن لسلطة الغاشم ، بل أضمن لدوام هذا المؤتمر ونجاحه أن يكون انعقاده فى بلاد بريئة من شوائب الاستعمار لا تحاك فيها الدسائس: مثل بلاد الدانمرك، والسويد، والنرويج، وفوق ذلك فيها من وسائل الحضارة ، ووسائط النقل والاذاعة ، ما يكفل جعل عمل هذا المؤتمر عالمياً ومفيداً للتقدم والحضارة، وتخفيف بطش وغلواء الأمم المستعمرة . وهو اذا تم سيكون أداة تفاهم بين حملة مشعال الثقافة والمدنية فى العالم أجمع ، لا فى أقطار الشرق فحسب . ومن ناحية أخرى فان انعقاد هذا المؤتمر فى احدى عواصم هذه الدول الصغيرة المتمدنة، يجعله فى مأمن من كل

اتهام يوجه الى الأمم الاسلامية ، كلما حاولت أن تنهض وتقوم بمثل هـذا العمل فى أى قطر من أقطارها . فقد جربنا أن كل حركة سلمية يقوم بها أى قطر اسلامى ولو كانت لفائدة المدنية والعلم، تـكون معرضة للاتهام من قساوسة السياسة فى أوربا وأذنابها فى الشرق فخير أن يكون هذا العمل فى أوربا ، وبين سمعها وبصرها ، وتحت مراقبة علمائها وحكمائها ، من أن يكون سرا من الأسرار، لأن السرية فى مثل هذه الأعمال ليست فى مصلحة الشرق ولن تفيد الأسلام أبدا .

واذا قدر أن يكون لهذا الصوت أثره فى أسماع الغيورين من اخواننا الشرقيين : مسلمين وغير مسلمين ، فما عليهم الا أن يجمعوا شعثهم ، ويؤلفوا لجنة من الرجال الذين امتازوا بأخلاصهم ، وبعـدهم عن المزالق ، والذين يطمئن لهم سكان أقطارهم فى العراق وسوريا وفلسطين ومصر وتونس والمغرب الأقصى وجاوه والهند وفارس والبانيا والبوسنه وغيرها ويؤلفون لجنة تحضيرية تتولى المنابأة والمفاهمة مع الافراد المعروفين فى بقية الاقطار الأخرى ، وبعد الاتفاق توضع المناهج لأعمال ومكان انعقاد المؤتمر .

هذا ما ارتأيته مجملا فى معالجتى أدواء المسلمين ، وعساه لايجد أذنا صماء . وأسأل الله تعالى ، أن يوفقنا جميعا لخدمة هذا الشرق المنكود ؟

عبد العزيز الثعالبى

« المعرفة » تشكر حضرة الزعيم الاسلامى ، السيد عبد العزيز الثعالبى ، على ما أبداه من آراء سديدة ، وأسداه من نصائح غالية ، وهى تود لو قدر لها أن تكون رسول محبة وسلام بين جميع الأقطار الاسلامية المختلفة ، ويسرها أن تعلن لحضرات رجال الشرق وكبار مفكريه ، على تبـاين نحلهم ، واختلاف مشاربهم ، مسلمين وغير مسلمين ، أنها على استعداد تام للنشر ما يرد عليها من حضراتهم حول هذا الاقتراح ، سواء أكان الرد مؤيداً أم معارضاً ، فان الحقيقة بنت البحث ، وهى ليست فى حاجة الى التنبيه ، بملاحظة عدم التعرض لدين ما ، فهـذا أمر معروف عن المجلة .